بريطانيا وتركيا والاتحاد السوفيتي، 1940-1945:

الاستراتيجية والدبلوماسية والاستخبارات في شرق المتوسط

كتبه نيكولاس تاكمين

حرره: مصطفى صدقي بيلجين

نظرًا لموقفها الجيوسياسي، خضعت تركيا لضغوط سياسية وعسكرية كبيرة من قبل القوى العظمى في أثناء الحرب العالمية الثانية وعقب إنتهائها. كما مارست الدول العظمى، خلال الحرب، ضغوطًا كبيرة على تركيا لحملها على الامتثال لتفعيل سياسة المضائق وفقًا لمصالحها الاستراتيجية. أدى هذا الوضع إلى التعاون والتنافس بين القوى العظمى في ذات الوقت. في السنوات الأخيرة قام عدد من الباحثين الأتراك والأجانب ببحث التنافس والتعاون بين القوى العظمى في شرق البحر المتوسط، والتفاعل بين السياسات البريطانية، والسوفيتية والأميركية مع تلك الدول الإقليمية خلال هذه الفترات. نيكولاس تاكمين أحد هؤلاء الباحثين؛ الذين تعمقوا في البحث في المحفوظات البريطانية وغيرها من المصادر المنشورة وغير المنشورة المتوفرة في بريطانيا لتوضيح دور تركيا في الاستراتيجية والدبلوماسية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية. وبهذا قدم تاكمين إضافة ومساهمة كبيرة في صياغة السياسة الخارجية البريطانية واستراتيجية الحرب نحو تركيا، مع التركيز بشكل خاص على مكانة تركيا في العلاقة غير المتوازنة بين بريطانيا والاتحاد السوفياتي.

يبدأ تاكمين بأطروحة ترى أن السياسة البريطانية تجاه تركيا، خلال الحرب العالمية الثانية، كانت مضللة

وغير مفهومة، حيث إن عداء تركيا تجاه ألمانيا كان فقط عبئًا على الحلفاء ولم يأت بأي فائدة بسبب ضعف الجيش التركي وعدم جاهزيته. ويوضح الكاتب بمهارة الصعود والهبوط الذي طرأ على العلاقة الثلاثية بين بريطانيا وتركيا والاتحاد السوفيتي، بأدلة منظمة تنظيمًا جيدًا في الفصول التسعة. ربما مهارة تاكمين الشديدة، قد أدت إلى إزالة التعقيدات والغموض الذي إتسمت به العلاقات بين هذه القوى.

يتجلى الموقف المتناقض تجاه دور تركيا في جهود الحرب البريطانية بشكل واضح في الكتاب

ومن اللافت للنظر، أنه في جميع أجزاء الكتاب، يوضح الكاتب موقف بريطانيا العملي، الغامض في كثير من الأحيان، تجاه تركيا، والذي أدى إلى تدهور العلاقات الأنجلو التركية. وأبرز الأمثلة التي توضح وتفسر هذا الوضع، حدث عندما اعترفت لندن بمخاوف أنقرة من موسكو قبل بدء عملية "بربروسا"، ثم النهج الحذر الذي إنتهجته بريطانيا بشأن المخاوف التركية بعد الغزو الألماني للجمهوريات الإشتراكية السوفيتية، وأصبحت لندن حليفة لموسكو، وأرادت تخفيف حدة الخلافات بين تركيا والاتحاد السوفياتي على حساب تركيا (ص19-31).

وفي هـذا الإطار العام، يوضح المؤلف أربع مراحل رئيسة لاستكشاف دور تركيا في فترة الحرب البريطانية واسـتراتيجية مـا بعـد الحـرب: الأولى؛ في البلقـان في شـتاء 1940–1941؛ والثانيـة، في 'الجبهـة الشـمالية' في 1941–1942، والثالثـة في مـسرح البحر الأبيض المتوسـط خلال عـام 1943؛ والمرحلـة الرابعة تتناول دور تركيـا في التخطيـط لما بعد الحـرب البريطانية بدءًا مـن أواخر عـام 1943 فصاعدًا. تم تحليـل دور تركيا بتعمق، ومن خلال عرض وجهات نظر مختلفة لمختلف الإدارات والشـخصيات البـارزة مثـل رئيـس الوزراء تشرشـل، وأنتوني إيدن ومسـؤولين بارزيـن آخرين في وزارة الخارجية، ورؤساء أركان.

ويتجـلى الموقف المتناقض تجـاه دور تركيا في جهود الحرب البريطانية بشكل واضح في الكتاب؛ فقد إعتقد رؤسـاء الأركان البريطانيون في أواخر الأربعينيات أن عـداء تركيـا لألمانيا كان السـبب وراء تواجد الحشـود العسكرية الألمانية في البلقان، وظنوا أن تلك الحشود لم تسـتهدف فقط دول البلقان بل استهدفت تركيا أيضًا. بينما في واقع الأمر كانت برلين تجري اسـتعداداتها لغزو الاتحـاد السـوفياتي. وقـد أيـد هذا الـرأي بقـوة رئيس الوزراء تشرشل ووزير الخارجية إيدن أيضًا. وقبل ذلك ببضعة أشهر، كان القادة العسكريون ووزارة الخارجية يـرون أن حيـاد تركيا أكثـر فائدة لبريطانيـا من دخولها الحرب. لكن الغريـب أن بريطانيا أرادت وقوف تركيا بجانبها من دون تقديم أي مساعدة فعالة، حيث كانت بريطانيا نفسـها تعاني من نقص هائل في أعداد المقاتلين والمعدات العسكرية في جبهة الشرق الأوسط.

وحـدث خلـط وإرتبـاك بـين رؤسـاء الأركان البريطانيـين حـول الأهـداف البريطانيـة في تركيا؛ ولا سيما عندما أسفرت المناقشات بشأن المسألة التركية عن تصـادم وجهات نظر إثنتـين من الإدارات الرئيسـة في الفترة من نهاية الأربعينيات فصاعدًا. وبينما كان رؤساء الأركان البريطانيـون، مع فكرة إنشـاء جبهـة البلقان، وحثوا على مشـاركة تركيا في الحرب، وأيد تلك الفكرة تشرتشـل، أدركت الخارجية البريطانية أن انعدام حياد تركيـا يشـكل عائقًـا، وأن بإمكانهـا مسـاعدة بريطانيا بشكل أفضل من خلال القنوات الدبلوماسية، وسعت إلى إيجـاد تعاون سـياسي بدلًا من العمل العسـكري في البلقان ضد دول المحور.

بحلـول نهاية أبريـل عـام 1941، عندما أصبحت البلقـان تحـت الإحتـلال النازي، بـدأت اسـتراتيجية الحرب البريطانية تضع تركيا في إطار "الجبهة الشمالية" لمسرح الشرق الأوسط. وقامت هذه الاستراتيجية على فكـرة أن بريطانيـا يمكـن أن تعتمد عـلى مقاومة تركيا لحمايـة منطقة الـشرق الأوسـط في حالة إنهيـار الاتحاد السـوفيتي في القوقـاز (الجبهـة الشـمالية) ضـد ألمانيـا. ونتيجة لذلك عادت بريطانيا إلى سياسة تعترف بموقف تركيـا الحيـادي، كـما أصبحـت تركيا تـرى أنها حصن طبيعي أمام التقدم الألماني نحو الشرق الأوسط.

هـذه الاسـتراتيجية، كانـت عرضـة للتغيـير، كـما حدث في كثير من الأحيان، وذلك بسـبب الإنجازات العسـكرية للحلفـاء في شـمال أفريقيا وركـود القوات الألمانيـة في القوقاز خلال أواخر عـام 1942. ونتيجة لهـذه النجاحـات وضع تشرشـل اسـتراتيجية جديدة، تسـتهدف توجيـه ضربـة للجنـاح الألمـاني في شرق المتوسط. وإعتمد نجاح هذه الاستراتيجية على انضمام تركيـا إلى الحـرب. ولتحقيق هذا الهدف أخذ تشرشـل هذه المسألة على عاتقه مدعومًا برؤساؤء الأركان، رغم المعارضة التي أبداها المجلس العسـكري والمسـؤولون في وزارة الخارجيـة. وخلافًـا لتشرشـل، لم يـر رؤسـاء الأركان البريطانيـون، فائدة من عداء تركيا دون تقديم مساعدة عسـكرية كافية. وإعتقدوا أن "نقاط الضعف

التنظيمية والاتصالية جعلت العداء التركي يأتي بنتائج عكسية" (ص123). وعلاوة على ذلك، فإن الحرب الأنجلو أمريكية لغزو شمال غرب فرنسا في عام 1944، إستحوذت على قدر كبير من الموارد العسكرية البريطانية وحدت من القدرات العسكرية البريطانية في الشرق الأوسط. ونتيجة لذلك، بدأت بريطانيا في قطع الإمدادات العسكرية لتركيا، التي وعد تشرشل بتقديمها خلال مؤتمر أضنة في يناير 1943. كان هذا الموقف البريطاني غير المتناسق تجاه تركيا السبب الرئيس الذي أدى في نهاية المطاف إلى إنهيار العلاقات الأنجلو التركية خلال عام 1944.

وهنا لا أتفق مع تاكمين، حول هوية المسؤول عن تدهور العلاقات بين تركيا وبريطانيا وكيف عادت العلاقة بينهما إلى مسارها بعد عام 1944. وفي حين أن المسؤولية الرئيسة عن تفاقم العلاقات تقع على بريطانيا، إلا أن لتركيا أيضًا نصيبًا في ذلك. كانت عدم قدرة بريطانيا على تقديم المعدات العسكرية الكافية لتركيا وفشل إينونو في فرض السيطرة الكاملة على الشؤون الخارجية، ولا سيما ضد الحزب المؤيد للألمان في تركيا، من الأسباب الرئيسة وراء عدم مشاركة تركيا في الحرب في الوقت المناسب. الوثائق التركية والألمانية تشير إلى وجود عناصر موالية للألمان في تركيا، أيضًا لم يستطع الرئيس التركي فرض السيطرة الكاملة على الأحداث إلا بعد الإستقالتين القسريتين لنعمان منمانجي أوغلو، وزير خارجية تركيا، والمارشال الأسبق فوزي تشاكماك رئيس هيئة الأركان العامة التركية، في عام 1944.

ولهذا السبب، طلبت تركيا في وقت متأخر من بريطانيا الانضمام إلى الحرب في نهاية يناير عام 1945، مقترحة إما القتال على الجبهة الإيطالية أو إجلاء الألمان من مسرح إيجه. ورفض رؤساء الأركان البريطانيون، على الرغم من معارضة تشرشل القوية، الطلب التركي، معللين أن تدخل القوات التركية قد يؤخر خطط حرب الحلفاء وسيستلزم موافقة أمريكية، ولم يكن هناك ما يكفي من الوقت. فيما يتعلق بهذه النقطة توصل تاكمين إلى إستنتاج خاطئ حول موقف تركيا من الحرب (ص162) عندما قبل بما توصلت إليه الأبحاث الحالية وفشل في الرجوع إلى عملي حول هذا الموضوع، حيث إنني أول باحث يسلط الضوء على هذه المسألة.

الفشل في الرجوع إلى المصادر التركية المتاحة كان نقطة الضعف الرئيسة في عمل تاكمين. كما أن استخدام الوثائق الاستخباراتية، كما يؤكد الكاتب، لا يمكن أن تحل محل الوثائق التركية بشأن القضايا المتعلقة باستراتيجية تركيا في زمن الحرب والسياسة الخارجية بأي حال من الأحوال. ومن المثير للدهشة، تساؤل تاكمين عن سبب إخفاء تركيا عن بريطانيا المفاوضات بشأن تجديد تحالفها مع الاتحاد السوفياتي (ص 176-177). كان السبب واضحًا: حيث كانت تركيا متشككة من النوايا البريطانية. وعندما أدرك الأتراك أنهم لا يستطيعون التوصل إلى تفاهم مع الاتحاد السوفياتي وحدهم، اضطروا إلى لاستدعاء البريطانيين.

ورغم هذه الثغرات الطفيفة، إلا أن هذا العمل يعد مساهمة رائعة وقيمة، تساعد على فهم العلاقات الثلاثية بين بريطانيا وتركيا والاتحاد السوفيتي خلال الحرب العالمية الثانية، تلك الحقبة التي تمثل إحدى الفترات الأكثر تعقيدًا في التاريخ الحديث.